

## نافذة

## الكلمة والزمان والمكان

قال محدثي: على الرغم من مرور نحو ٤٥ سنة على عملك المستمر في المديرية العامة للأثار والمتاحف، ووزارة الثقافة.. أراك ما زلت تواصل طعام الإفطار، والتجوال في حارات وأزقة دمشق القديمة، والسير في الشوارع بلا كل أو ملل، تسلّم على هذا، وترد السلام على ذلك، وترتبت على خدود الأطفال وتلاعبهم، وتحتي بالأزهار، وتزاول المتارين الرياضية، وتسمع الموسيقى القديمة والحديثة، وتتواصل مع الناس على طريق وسائل الاتصال الحديثة، وتحرص كل الحرص على أناتفق وحلاقة تفنك يوماً، حتى في أيام العطل والأعياد الرسمية. وتقوم بتلبية دعوات الأصدقاء، وتدعوهم بالمقابل، وتتواصل مع كل جديد في عالم السينما والمسرح والتلفزيون والفنون الجميلة والكتابات.. ألم يتسلل إليك مرض الكتابة والملل، وتعتريك عوارض الزهايمر والخرف، كما حدث لكثير ممن نعرفهم ولتقيهم من الأصدقاء والزملاء!

قلت: من يعمل بجد ونشاط، وحيوية وألّقى وتواصل مع نتاجات الألب والعلل والمعرفة.. من يدخل العشق إلى قلبه وروحه ووجدانه وعقله، لا يصبه الملل، ولا يقترب منه الزهايمر.. أنا أحافظ على نضارتي الروحية، بالحساس والحيوية.

الأمل بالمستقبل المشرق يدفعني إلى العمل المتواصل، كي لا يتجمد القلب، وحتى نبتدع فجراً مشرقاً حافلاً بالأحلام الوردية.. من عاتى الأ ألوح بيدي للأمر العابرة، ولا أعض بالنواتج على ما سيأتي، ولا أفاقي الأمرين مما سيحضر.. كنت وما زلت أستطيع أن أبعث نفسي من خداع البصر... وجداني ما زال ينام قريح العين... أقوم بعمل كل يوم، بدأب ومن دون سأم، حتى لو لم يحالفني التوفيق.. أقوم بكل ما أقدر عليه من خدمة للناس.. لم ألق بابي في وجه أحد، ولم أتردد مرة واحدة من مساعده من مقصدي، وشعاري الدائم «لا تستخ من إعطاء القليل»، ولا «تنتظر المعروف من حاسد» والعمر أقصر من أن تضعية في الضمام» و«رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي».

قال محدثي: في البدء كان الكلمة.. فما أنت إن لم تكن الكلمة، التي تتعامل معها منذ نصف قرن!!!

قلت: الكلمة هي التي تفسرني وتكشف عن ذاتي، ومدلولات معرفتي وخبرتي... كنت وما زلت أبحث عن جبرها الكريم... على ضوئها السامع... عن عطاءات وفتوحات الشعر والشعراء، وإبداعات الألب والفكر والفلسفة، وأجنحة الرويا، وأخبار المتبني والمجري وجبران وجيم دانتي وهوميروس، وشكسبير وبولدير ورامبو وكافكا والسياب واليهواري... الكلمة هي التي أعطتني هوية ومصداقية، هي التي فتحت وتفضل وتصيب وتشكر وتشرح.. الكلمة هي فصل ووصل.. هي الأنا والهوي.. هي الهناء وذلك الانتظار الفاقد للذاكرة، والموعد الذي بلا تاريخ، والعالم الذي هو كل يوم عام الفيل... هي التي من خلالها يخضر بأسنا، وتننفس، ويحدث في النهايات التي لا تأتي.. هي النظرة التي تبدأ منها الحكاية، والمحنة التي تنطلق منها نحو آفاق شاسعة لا حدود لها، ويحو آمال عريضة لا ضفاف لها... هي التي بنينا منها قصورا، وسورناها جدراناً في نسيج الخيال.. هي التي علمتنا أن الحياة أوسع من أن نخضعها لفكرة محددة.

قال: تكتب دائماً عن التراث والآثار والزمن الغابر، وكأن الحاضر لا يفريك ولا يحرك مشارك وخوارطك!

قلت: بكل أسف، زمن الربيع العربي، وعبث التراجيديا العربية من المحيط إلى الخليج، والخراب الذي يلاحقنا في كل مكان.. في زمن الحرب والقتل والدمار والأرهاب.. أهرب إلى التاريخ أبحث فيه عن مجد قديم أسرد به إنسانيتي المهورة، وإحساسها بالحياة... في عالم المتغيرات والأحداث المتسارعة، هزلت القيم والأفكار والمواقف.. العاقل من عاش بجسده، وسط هذه الأشياء المجلية، وانزع قلبه ووجدانه ليسكن زماناً آخر... ومن حق كل إنسان أن يختار زمانه كما يقول الشاعر المصري فاروق جويدي:

قال: كيف تقيم تاريخ سورية؟!

قلت: أرفض أن أقسم تاريخ سورية إلى فترات زمنية... تاريخها متكامل... الحضارة فيه، لم تنقطع منذ مليون سنة وحتى اليوم... هو تاريخ فريد... غني، متنوع... أعظم ما فيه ذلك التنوع الفريد... في كل ما كتبت عن هذا التاريخ لم أقع فريسة أهواء أو «أيدولوجيات» أو أفكار محنطة، وأجمل ما في سورية هو وحدة شعبها.. لقد تعاملت مع هذا التاريخ باحترام وتقدير ونزاهة وأمانة، ومارست حقّي في البحث عن الآثار برؤية وشمولية واسعة المدى، وهذه غاية لا يدركها إلا العاشق الولهان بأرض وحضارة بلاد الشام.

د. علي القيم

## الفرقة الوطنية السورية للموسيقا العربية تعيد إحياء الموشح السوري بطريقة احترافية

### عدنان فتح الله: توثيق التراث السوري من مهام الفرقة الوطنية

سيلفي سليمان: الملحن «حسان اسكاف» قدّم لي موشحاته منذ ١٠ سنوات



عامر فؤاد عامر

يعد الموشح نوعاً من أنواع الفن الشعري الغنائي، وله نظمه وقواعده الخاصة من بين أنواع الشعر الغنائي، وتذكر المصادر أن الموشح الغنائي من أصل سوري، وتشألدى السريان القاطنين في سورية، ومعنى كلمة موشح السريانية الأصل هو «إيقاع الزمار»، ومن الشرق انتقل هذا الفن إلى الأندلس ليحيا مرحلة من التطور والانتشار هناك وفي المغرب العربي، وفي خطوة مهمة ورشيقة قدمت الفرقة الوطنية للموسيقا العربية حفلتها الخاصة بالموشح السوري، لتضيف من جديد للمكتبة الموسيقية السورية إضافة غنية ومهمة.

#### موشحات...

بدأت الفرقة حفلتها بمعزوفة سماعي نهونيد من تأليف الموسيقي «كمال سكيكر» تلاها موشح «بعر عجبا»، ثم أتت المغنية «سيلفي سليمان» موشحات «ريم رماني» و«يا تاركي ثملأ»، و«غني للسمار غني» وهي من ألحان الراحل «حسان اسكاف»، بعدها أدى كورال الفرقة موشح «قلت ما غاب غني» من ألحان الراحل «عمر البطش»، وتوزيع قائد الفرقة «عدنان فتح الله»، وموشح «فيك كل ما أرى حسن»، وموشح «عاذلي فك الامله»، وهو من ألحان «عبد الرحمن جحفي»، بعد ذلك أدى المغني «محمود الحداد» موشحات «لم يكن هجري حبيبي»، و«عذوبتي» وأيضاً موشحات «بدت من الخدر»، و«بين قاسيون وروبة وسبحان من صور»، وموشح «يا غزالاً قد جفاقي» بالاشتراك مع كورال الفرقة وهو من ألحان «بهبخت حسان» وتوزيع «شعلان الحموي»، وموشح «الورد بخدك والخلج» من ألحان الراحل «عدنان أبو الشامات» وتوزيع «كمال سكيكر».

#### إضافة نوعية

تشكل الحفلة استمداً لنشاط الفرقة في أهدافها التي أشرنا إليها في مقال سابق، لكن ما عنصر التجديد فيها من حيث الموسيقا المختارة، والأصوات التي اعتمدها، ومن حيث برنامج وشكل الحفل؟ كل هذه الأمور أجابنا عنها قائد الفرقة الوطنية السورية للموسيقا العربية الفنان «عدنان فتح الله»: «تتمتع الفرقة الوطنية السورية للموسيقا العربية في حفلتها على أعمال موسيقية تخدم خطتها في تطوير الموسيقا السورية خصوصاً، والغربية عموماً سواء من ناحية عرض تجارب إبداعية جديدة في هذا الخصوص أو من خلال توثيق التراث السوري من ناحية

أخرى، وفي هذا الحفل بالتحديد قدّمت الفرقة مجموعة من الموشحات السورية التي أداها كورال الفرقة، وبعضهم من مغني الصولو، مثل المغنية «سيلفي سليمان»، والمغني «محمود الحداد»، وكان الهدف هنا توثيقاً مع إضافة أغنية صوتية جديدة: من خلال التوزيع الأوركستراي الذي لعب دوراً مهماً في عرض الموشح مع التأكيد والحفاظ على صيغة الموشح وطبيعته الشرقية، ويتطلب هذا النقط من الغناء مقدرات صوتية عالية، وتقنيات خاصة، إضافة إلى مستوى عال من الثقافة السمعية الموسيقية، وهنا كانت أسباب اختيار المغنية «سيلفي سليمان» والمغني المتميز «محمود الحداد» إضافة إلى أنّهما من مغني كورال الفرقة في الأصل، وهذا ما اعتمده الفرقة من حيث أنه في حال وجود مغني عالي الاحتراف في كورال الفرقة فيجب اختيارهم في حالة الغناء المنفرد. أيضاً في ترانزا الموسيقي السوري يوجد الكثير من الموشحات المميّزة لحناً وكلاماً، وهنا كان لا بد من البحث عن بعضها، وتقديمه، وتوثيقه في هذا الحفل، والتعريف بموسيقين مهمين برعوا في تلحين الموشح، وغنائه، فقدّمت الفرقة موشحات لـ«عمر البطش»، ولـ«عبد القادر حجار»، ولـ«بهبخت حسان»، ولـ«حسان اسكاف»، ولـ«عدنان أبو الشامات».

#### فكر وفن

حملت الحفلة رسالة فخرية إضافة للرسالة الفنية فقد بات من المعروف أن الفرقة الوطنية السورية للموسيقا العربية لها مقصد من نشاطاتها يدور في نشر هذا الوعي الفني والمعرفي بين الناس وعلى وجه الخصوص في سورية، وحول هذه الفكرة يجيبنا قائد الفرقة الأستاذ «عدنان فتح الله» أيضاً: «الرسالة كانت من هذا الحفل هي رفع ذائقة الجمهور لهذا القالب الغنائي (الموشح) والتعريف على

الجديد الذي قدّمته هذه الحفلة مقارنة بالحفلات التي شارك فيها سابقاً يقول: «عنوان الحفل «التوشح السوري» وهدفه بالضبط تأكيد فكرة: أن تلحين قالب الموشح هو نتاج جهد ملحنين سوريين، وقد انتشر من سورية إلى الوطن العربي كله، وحمائية لهذا الفن من الانقراض والضياح قمنا بتقديمه بطريقة حديثة واسلوب متجدد اعتمد على التوزيع الأوركستراي، والهارموني، ويعود الفضل في ذلك للمايسترو «عدنان فتح الله» وهو من المهتمين بهذه الصيغة في تقديم التراث والمحافظة عليه من الضياع».

#### جمهور في تزايد

أمّا عن ردّة فعل الجمهور، فقد لاحظنا توافد عدد كبير من المهتمين والمتابعين للحفلة، وهذا دليل على زيادة الاهتمام من الجمهور المهتم بالموسيقا السورية، فقد كان هناك تعليق للفنان «محمود الحداد» فقال: «لغت نظري وجود عدد كبير من الشباب الذين حضروا الحفلة على الرغم من صعوبة الاستماع لهذا النوع من الموسيقا بالتحديد، فقد بقي لفترة طويلة حكراً على المتخصصين بالشأن الموسيقي، وهذا ما يدل على أن الجمهور في سورية يتمتع بذائقة فنية عالية، ومتجددة، إضافة إلى وجود عدد من كبار السن (السمعية) المعطشة لهذا النوع الذي بات مهدداً للضياع، وعموماً أصبح لدار الأوبرا في دمشق جمهورها الخاص بها، والمخلص لأعمال التي تقدم على مسرحها، ويلاحظ تزايد مستمر لهذا الجمهور خاصة في ظل الظروف التي مرت بها سورية، واعتقد أن نسبة المتابعة الأكبر هي من طلاب الجامعات. باختصار أنا أرى أن تقديم التراث بهذه الطريقة الاحترافية يقرب لغة الفن من أن المستمعين الشباب الذين اعتادوا الاستماع لأنماط موسيقية حديثة وغربية».

#### محمود الحداد

الفنان «محمود الحداد» من مواليد دمشق ١٩٨٩ يدرس في كلية التجارة والاقتصاد في جامعة دمشق، عضو متفرغ في نقابة الفنانين في ريف دمشق، مغني كورال مع الفرقة الوطنية السورية للموسيقا العربية بقيادة الأستاذ «عدنان فتح الله»، مغني كورال مع فرقة أساتذته صلحي الوادي بقيادة الأستاذ «عدنان فتح الله»، مغني صولو وكورال مع أوركسترا نقابة الفنانين بقيادة الأستاذ باسل صالح، مغني صولو وكورال مع جوقة منطوعي الهلال الأحمر العربي السوري، وتطوع في العديد من الحفلات الخيرية، وعن

مامية الموشح السوري، وتقديمه بطريقة الأكاديمية التي تعني بالتفاصيل، والأهم هو التوثيق الدروس لهذه الموشحات، والعمل على المحافظة عليها من الاندثار حيث تعتبر هذه الأعمال بمنزلة كنوز تدل على عراقة تاريخنا الموسيقي، وعراقة الموشح السوري. أمّا من الناحية الفنية فإن أداء هذه الموشحات من كورال مؤلف من ٢٠ مغنياً ومغنية وإلى دراسة معمقة لعدم المس بخصوصية الموشح، وكل هذا دليل على عراقة المؤسسات الأكاديمية الموسيقية السورية كالمعهد العالي للموسيقا، ومعهد صلحي الوادي للموسيقا».

#### سيلفي سليمان

من مواليد ١٩٧٣، تخرجت في المعهد العالي للموسيقا ٢٠٠٠ - ٢٠١٠ في اختصاص آلة رئيسة قانون وآلة ثانوية إيقاع، شاركت مع الفرقة السيفونية في حفلات عديدة كعازفة منفردة على آلة القانون في سورية ولبنان، شاركت مع الفرقة الوطنية السورية للموسيقا العربية كمغنية إفرانية وكورال، ومع فرقة أبو خليل القباني، وأوركسترا طرب، والتخت الشرقي الشسائي السوري، وجوقة الفرح، في عدة بلدان عربية وأجنبية منها: «مصر، وتونس، والغرب، وسلطنة عمان، والبحرين، والأردن، والإمارات، قطر، ولبنان، وتركيا، وإيطاليا، وفرنسا، وبلجيكا، وألمانيا، وأستراليا، وأميركا وروسيا». عملت في حقل التدريس على آلة القانون في معهد صلحي الوادي، ومساعدة ممرسة في المعهد العالي للموسيقا في دمشق لآلة القانون، ومدرسة لمادة الغناء لطلاب السنة الأولى في المعهد العالي للفنون المسرحية، وعن خصوصية الحفلة التي شاركت فيها الفنانة «سيلفي

## محمود الحداد: الحفلة تهدف إلى إحياء الموشح السوري وحمائته من الضياع



# البروكار الدمشقي يعشقه من في العالم... ونوله منسي في غرفة مظلمة

مصنوع في دمشق من الصعب جداً صنعه حتى في مناطق سورية أو في العالم وهذا حال البروكار. الحرفي إبراهيم أيوبي: «طبعاً البروكار لا يوجد منه في كل أنحاء العالم إلا في دمشق وفي تجربة لأهل حلب بتقليد البروكار كانوا صنعه من قماش البولستر والحبر النباتي، في حين البروكار الدمشقي مصنوع من الحرير الطبيعي وبالتالي كانت جودة هذا البروكار سيئة ويمكن القول إنه منتج استهلاكي وهو أقل من البروكار الدمشقي بالقيمة الفنية، الجمالية وحتى المادية».

#### المواقفة بيد وزير الثقافة

الأزمة أثرت على كل ما هو سوري عامة وعلى البروكار خاصة بسبب تراجع السياحة وبالتالي الإقبال على شراء منتجاته وعلى الرغم من أسعارها بقت معقولة وتشجيعية مقارنة بجودتها العالية، وخصوصاً بأن من يحاول اقتناها أشخاص على معرفة بأهمية البروكار وعلى درجة واعية من تقدير الفن والتراث، حربي البروكار الدمشقي إبراهيم أيوبي: «الدمع بألوقت الحالي موجود إعلامياً ولكنه مفقود على أرض الواقع، ونحن نطلب بالوقت الحالي مكاناً مناسباً للنول الموجود في خان أسعد باشا كي نأشر التعليم عليه، وخصوصاً أنه تم الاتفاق بيني وبين معاون وزير السياحة ومع المدير التنفيذي للامانة السورية للتنمية وذلك لعمل مركز لتدريب البروكار، على أن أقوم بتصنيع نول جديد ولكن الكلفة العالية هي من آخر هذا المشروع فصنع نول البروكار يكلف أكثر من مليونين ليرة، وفي النهاية أنا الحرفي الوحيد الباقي في حرفة البروكار، وأريد البقاء في البلد والعمل بها وتعليم هذه الحرفة لكل الراغبين».



خبير البروكار إبراهيم أيوبي



## في خان أسعد باشا ينتظر للإفراج عنه من وزارة الثقافة

شاب يعمل معنا الآن ويقوم بتدريس هذه الحرفة في الثانوية نفسها وهذا كله ضمن مساع لإبقاء هذا التراث حيا، وفي وقتها أدخلنا تعليم البروكار كمنهاج نظامي ولكن للأسف الآن وفي هذا العام تم توقيف تعليم صناعة البروكار البدوية وذلك لعدم وجود متدربين، والأن نحن جادون بتعليم هذه الحرفة ولكننا بانتظار موافقة وزير الثقافة للموافقة على تفعيل النول من جديد».

#### البروكار دمشقي وليس حلبيا

البعض يقول إننا نبالغ بأهمية حرفنا التقليدية الدمشقية ويندرتها عالمياً، ولكن هذه حقيقة فما هو موجود في دمشق غير موجود في العالم وما هو

الوقت الحالي المدير يريد إخراج النول، لهذا نحن نتوجه إلى المسؤولين بأن هذا النول تراثي عمره مئتان وخمسون سنة وأنا خائف على إخراجها لأنه قطعة أثرية وهو الوحيد ليس فقط في سورية بل في العالم لأن ما هو موجود منها لا يعمل».

#### حرفة البروكار... إلى التعليم

على الرغم من أن حرفة البروكار موروث عائلي إلا أنه لم يتم احتكارها، بل كان هناك مساع جادة ومعاملة أخرى، وببساطة اكتفى كل الموظفين هناك حربي البروكار الدمشقي إبراهيم أيوبي «في السابق كنت قد أدخلت هذه الحرفة على التدريس الثانوي الصناعي وتخرج مجموعة من الطلاب ومن بينهم

القولتي بمناسبة تنويجها ملكة، وفي عام ٢٠٠٩ زارتني ملكة إسبانيا وأخذت بضائع متنوعة».

#### البروكار... عصري

يهدف الاستمرار وتلبية كل الأذواق التي توابك كل ما هو عصري كان من الضروري التطوير حتى ولو كان البروكار القديم قماشاً لا يليسه إلا الملوك والأمراء، حربي البروكار الدمشقي إبراهيم أيوبي: «في الوقت الحالي أحاول التطوير على البروكار وذلك بضم البروكار الأم إلى البروكار الحالي والبروكار الأم هو قماش الديداج سابقاً وهو لباس الأمراء والملوك وبالتالي أنا أحاول أن أجمع بين القماشين وذلك بغرض إحياء التراث الذي انقرض».

#### نول البروكار في غرفة مظلمة

على الرغم من الاهتمام الكبير بحرفة البروكار وعلى الرغم من المساعي الواعده بضرورة إبقاء هذه الحرفة تنبض بالحياة إلا أن الاهتمام من البعض والإهمال من البعض الآخر من الرغبة باتخاذ قرار أو تفعيل قرار أخذ أحد أمور تبقى من نول عمره أكثر من مئتين وخمسين عاماً في غرفة مظلمة، حربي البروكار الدمشقي إبراهيم أيوبي: «نحن وضعنا النول من العام الماضي في خان أسعد باشا لأننا شاركنا بعدة معارض وبالتعاون مع مديرية التراث تم الإبقاء عليه في الخان كي يتم تعليم حرفة البروكار في هذا المكان، وخصوصاً أن النول بذات نفسه يحمل قيمة أثرية لأن عمره أكثر من مئتين وخمسين عاماً، ولكن بعدما جاء مدير جديد، وطبعاً لكل مدير اتجاه معين، وقال إن هذا النول موضوع بشكل غير نظامي».

#### سوسن صيداوي

بدأت القصة منذ أكثر من مئتي عام ومازالت مستمرة برواية أحداثها والكتابة بصفتها ورغم وفاة الأجداد والآباء، لأن الأبناء ولدوا وترعرعوا في الأحياء الدمشقية واكتسبوا من أرتقاها وحجارة وخشب أبيئتها أصالة لا يمكن مهما كانت الظروف الاستغناء عنها، ومن عبق ياسمينها تنفسوا روحاً تؤكد هوية التراث وتصر على ضرورة إبقائه حيا مهما طال الزمان ومهما توالى عليه من أحداث، وهذه القصة هي قصة حربي البروكار الدمشقي إبراهيم أيوبي.

#### دمشق تحضر مؤتمناً

الأجداد ثم الآباء وحتى الأبناء هكذا هي العادة، فكل من نشأ في بيت يقدر التراث والفن أصبح كل من فيه مغنياً يقينه حتى إنه يسعي من غير وعي، ومسترجع يعادة الحبة إن يقينه على قيد الحياة، حربي البروكار الدمشقي إبراهيم أيوبي ترعرع في منزل دمشقي يعتبر البروكار الدمشقي ليس مجرد نسيج تغزله الأيدي، بل إن خيوطه تجمع دائماً الجمال والعنق والتنوع والقيمة الفريدة القادرة على أسر قلوب كل من يخالعها وبالتعاون مع مديرية التراث تم الإبقاء على هذا المرحلة الإبداعية بمساعدة أبيه ويتعلم هذه الحرفة، وعندما بدأ بالدراسة الإعدادية بدأ بالعمل على النول لنسج البروكار: «في سنة ١٩٤٨ اشتغل والدي فستفناً لملكة بريطانية الزبائب الحالية وكان الذهب الذي نسج مع القماش من عيار ٢١، قدمه بوقتها الرئيس شعري